IUGJEPS
Vol 27, No 4, 2019, pp 221 -236

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (2018-6-28)، تاريخ قبول النشر (2018-08-01)

سيميائية اللون الأخضر في شعر لسان الدين بن الخطيب

اسم الباحث الأول: منور محمد الحربي [1] *

اسم الباحث الثاني : أ.د يونس شنوان شديفات [2]

[1] اسم الجامعة والبلد (للأول) دكتوراه جامعة اليرموك - اللغة العربية

[2] اسم الجامعة والبلد (للثاني) اللغة العربية وآدابها. كلية

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: Menwer11@hotmail.com

الملخص:

اللون الأخضر ابن الطبيعة يحمل في طياته أبعاداً رمزية مختلفة توحي بما توصل إليه الخيال البشري من إبداع. وبعد قراءة لديوان الشاعر، (لسان الدين بن الخطيب) تقصى الباحث، مواطن اللون الأخضر، بشكله المباشر، وغير المباشر.

يهدف البحث إلى تبيان اللون الأخضر، ودلالاته، في ديوان الشاعر (لسان الدين بن الحطيب).

يناقش البحث دلالة اللون الأخضر، ورمزيته المباشرة، وغير المباشرة، لذا ظهر الأخضر، بدلالات مختلفة؛ إذ جاء كرمز للسلام، والنور، والجمال، والحب وغير ذلك من الدلالات، التي ناقشها البحث.

خلُص البحث، إلى أن الصبغة اللونية الخضراء في النص الشعري، قد تحمل أكثر من دلالة، فمثلاً: قد يكون الخضار، رمزاً للجمال، كما هو في الروض، وقد يكون في الوقت ذاته دالاً على العطاء، كما هو في الكرم؛ وقد يأتي - في بعض الأبيات - معبراً عن السعادة، والشوق...

كلمات مفتاحية: (أخضر – حب – كرم – حنين – جمال.)

A Semiotic Study of the Color Green in the Poetry of Ibn Al- Khatib

Abstract:

This study aims to reveal the beauty of the color green in the poetry of Ibn al-Khatib The research discusses the importance and symbolism of the color green. It also reveals the beauty of the color in the poetic text, both directly and indirectly, and demonstrates the poet's ability to present the color as a symbol of peace, light, love, generosity, beauty and other symbols which are discussed in the research.

The research concludes that the color green, in the poetic text bears more than one meaning. For example, green may be a symbol of beauty. At the same time, the absence of green refers to a lack the beauty and happiness.

Keywords: (Green - Love - Generosity - Craving – Beauty.)

المقدمة:

للون الأخضرِ أهميةٌ واسعةٌ على المستوى التشكيلي والأدبي. غير أن تواجده في الشعر، يمنح النصَّ أفقاً دلالياً واسعاً؛ فالانزياح الذي يحصل للمفردة (الخضراء) يأخذها إلى أبعاد رمزية، تخرج من دائرة دلالتها اللونية، التقليدية، إلى أبعاد رمزية متفاوتة. فاللون الأخضر–في النص الشعري– واسع الدلالة؛ يأخذ بُعدا تعبيريًّا، على مستوى اللغة والمعنى. فقد تتعدد المفردات ذات الصبغة الخضراء، وتختلف دلالة كل مفردة، وقد تتحد المفردة، ويختلف المعنى؛ فلكل نصٍ سياقٌ، دلالي اللّونِ، يتماشى والفكرةَ العامةَ، التي يريد الشاعر تقديمَها بشكل فنِّيٍّ أدبّيٍّ.

لقد دفعت الطبيعة الحية الخضراء الشعر والشعراء والنفس البشرية والعقل إلى ربط هذه الدلالات الطبيعية الحية باللون الأخضر؛ لأن الطبيعة الخضراء، دائماً ما تدل على نماء، وخصب يبعث في النفس روح الحركة والديمومة. إنه لون " الطبيعة، منعش رطب يوحي بالراحة، ويسمح للوقت أن يمر سريعاً، ويساعد الإنسان على الصبر، لذا فقد استعمل في معالجة الأمراض العقلية، مثل الهستيريا وتعب الأعصاب".([1]). لقد جاء الأخضر، في الأدب العربي معادلاً موضوعي للخصوبة، والخضرة، والماء، إذ إنَّهم ربطوا بين السبب، والمسبب؛ فالخضرة تمر بعدة مراحل حتى تبتهج، وتزهر، والخصوبة التي تتشكل بصورة خضراء، تحتاج إلى الماء. الشعراء من خلال الرمزية الكامنة في الأخضر، أسقطوا على الممدوح صفة الأخضر، لما يتمتع به الأخضر في مراحل البقاء والنماء؛ فحيثما حل ّ الأخضر في النص، حلّ النعيم والاستقرار، وتَبَدَّلَ الجفاف الصحراوي بربيع، تسعد النفس والعين برؤيته.

للطبيعة الأندلسية بالغ الأثر في تشكُّل الصورة الفنية عند ابن الخطيب، إذ اهتمَّ بوصف المكان بأبعاده الجغرافية الساحرة، حيث شكَّل اللونُ الأخضرُ، في اللوحات الشعرية دوراً جمالياً مكمِّلاً لأبعاد الصور الفنية؛ فالخضرة في الديوان، غالباً ما تَعْني الحيوية، والديمومة الإيجابية، التي تعود على النفس بشعور الاستقرار، والسعادة. لاشك بأن روعة الأندلس، ولاسيّما غرناطة، ألهمت الشاعر الإحساس، بالجمال الذي انعكس على شعره، فتجلت الصورة اللونية الخضراء بأبهى حلّة، وأجمل منظر " إذ تكتسي الأرض بحلّة بديعة، من الزينة الأنيقة، وتتلفع بمعطف بديع من الخضرة الندية الساحرة، فتتفتق الأزهار، والورود بألوان قشيبة زاهية، وتلتف الأشجار بخضرتها الداكنة، المشبعة برواء يرشح رقة، ونضرة فتستوي الأندلس بعد ذلك لوحة بارعة الصنع فائقة الدقة، لم يكن للشعر، والشعراء من وظيفة ينبغي أن تشغلهم سوى جعل الشعر وسيلة صادقة، تستجيب لهذا الجمال، وتصوغ كَلِماً خالداً كأقلِ واجب.([2])

يعد اللون الأخضر من " الألوان الأساسية على المستوى التشكيلي ويحظى بأهمية واسعة ومنفتحة في الإستخدام".([3]) وهو آخر لفظ في سلسلة الألوان، عند النّمري، الذي عدّ الزرقة درجة من درجات الخضرة .([4])

الأخضر يطلق على أشكال متعددة إضافة على لونه الشائع المعروف، فقد ورد بمعنى "السواد، وبمعنى السمرة في ألوان الناس وبمعنى الغُبْرَةِ في ألوان الإبِل والخيل" ([5]) . ومن معاني الأخضر قديماً قولهم : " أباد الله خضيراءهم: أي سوادهم ومعظمهم ، وكتيبة خضراء: يعلوها سواد الحديد، وفلان أخضر القفا: أمه سوداء، إياكم، وخضراءَ الدِّمَنِ: المرأة الحسناء، في منبت السوء،

(1) حمودة، يحيى، نظرية اللون (ص136).

(2) المنصوري ، اللون في الشعر الأندلسي (ص131–132).

(3) عبد الجواد، فاتن، سيميائية اللون الأخضر (ص1)

(4) علي، إبراهيم، اللون في الشعر العربي قبل الإسلام (ص 211). النمري: صاحب كتاب الملمع في اللغة، وهو بمثابة معجم صغير لألفاظ الألوان في اللغة.

(5) مختار، اللون واللغة (ص 41).

شبهوها بالشجرة الناضرة في دِمْنَةِ البعير، الأمر بيننا أخضرَ: جديد، الأخاضر: الذهب، واللحم والخمر، فلان أخضر: كثير الخير، جنّ عليه أخضر الجناحين: الليل " .([1])

إنه يرتبط بمعانٍ عدة؛ فهو: لون " الدفاع، والمحافظة على النفس، كما أنه يمثل التجديد، والنمو، والأيام الحافلة للشبان الأغرار، وهو لون الطبيعة الخصبة، رغم أنه نادراً ما يكون اللون المسيطر على الجو" ([2]). وهو لون الطبيعة " منعش رطب مهدئ يوحي بالراحة؛ إذ يضفي بعض السكينة على النفس، ويسمح للوقت أن يمر سريعاً، ويساعد الإنسان على الصبر؛ لذا استعمل في معالجة بعض الأمراض العقلية، مثل: الهستيريا، وتعب الأعصاب".([3])

يُعد اللون الأخضر، من الألوان المحببة إلى النفس، إذ إن دلالته سرعان ما تذهب إلى الإيحاء، الذي يرمز إلى السلام ، وذلك لأنه – غالبا – ما يرتبط بجمال الطبيعة، الذي يوحي بالنماء ، فهو مرتبط بشكل مباشر " بأشياء مهمة في الطبيعة أصلاً، كالنبات، والأحجار الكريمة، ثم جاءت المعتقدات الدينية وغذّت هذه الارتباطات بالخصب، الذي توحي به خضرة النبات الغض الرطب ".([4])

يقوم البحث على أساس المنهج الوصفي التحليلي بالإتيان بأبيات من شعر لسان الدين بن الخطيب، والكشف عمّا تتضمنه مفردات اللون الأخضر في تلك الأبيات من دلالاتٍ ذاتِ أبعادٍ رمزية متنوعة.

لقد حظي اللون الأخضر– في المعجم الشعري لابن الخطيب – بمساحة واسعة، حيث تجلى في جمال الطبيعة الأندلسية الخضراء البهية، إذ أخذنا إلى عالم جمالي بيئي تملؤه الخضرة، والنضرة الدائمة؛ حيث الحدائق الساحرة، والورود الجذّابة، والأزهار العطرة. فالانزياح الذي تتعرض له المفردة في معجمة الشعري " تجنح بالصفة اللونية إلى مديات دلالية تخرج عن كونها التقليدي في التعبير والإشارة، وبما أن الأخضر بالذات يأخذ بعداً تعبيرياً واسعاً في دلالته العامة على صعيد اللغة قبل دخولها إلى حقل الشعر، فإنه بالشعر يتكشف عن مناطق ورؤى وطبقات تجعل منه ذا طاقة أسطورية في التعبير والتصوير والتدليل".([5]) لقد أبدع الشاعر بنقل جماليات الطبيعة من شكلها المجرد المشاهد إلى عالم الكلمة، ذات الإيحاء التشبيهي الشيق حتى تجلى الممدوح بأجمل حلّة، وقد توشحت فضائله اللون الأخضر بأبعاده الخضراء التي كثيراً ما ترمز إلى النمو والحياة والأمل، حتى تنتهي في غاية التوظيف اللوني إلى السعادة، وبث روح الحياة والأمل.

أ- اللون الأخضر المباشر:

1- الســمــو والــرفــعــــة:

قدّم ابن الخطيب اللون الأخضر الصريح بدلالات متعددة، منها: وصفه لغرناطة، ذات البهاء والجمال الأندلسي، حيث يقول فيها: " خَضِرةٌ سَنِيَّةٌ لو خُيرت في حُسن الوضع، لما زَادت وصفاً، ولا احتكمت رصفاً، ولا أخرجت أرضها ريحاناً، كرسيها ظاهر الإشراف، مطلٌ على الأطراف ".([6])

غَرْنَاطَةٌ مَا مِثْلُها حَضْرَه المَاءُ، والبَهْجَةُ، والخُضْرَهْ .([7])

(1)عمختار، اللون واللغة (ص 80).

(2) ، اللون واللغة (ص 185).

(3ر) حمودة، نظرية اللون (ص136).

(4)ي مختار، اللون واللغة (ص210).

(5) عبدالجواد، سيميائية اللون الأخضر (ص 3)

(6) ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار (ص 116).

(7)ابن الخطيب ، الديوان (ج1/435).

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

تتميز الأندلس بطبيعتها الجميلة و مناظرها الساحرة الخلابة، لاسيما مدينة غرناطة، آخر المعاقل الإسلامية، التي أطلق عليها دمشق الأندلس؛ لما تتمتع به من خضرة، وأشجار وارفة الظلال. يقول عنها الحموي: " إنها أقدم مدن البيرة من أعمال الأندلس، وأعظمها وأحسنها وأحصنها ".([1]) أمّا المَقَّري، فقد تجلت أمامه غرناطة بأنها " دمشق بلاد الأندلس، ومسرح الأبصار، ومطمع الأنفس، ولم تخلُ من أشراف أماثِلَ، وعلماءَ أكابرَ، وشعراءَ أفاضلَ ".([2]) وقد تعددت الروايات في أصل تسمية غرناطة، وتُرجِّحُ الرواياتُ أن أصل الاسم مشتق من اللاتينية Granata ، ومعناها الرُّمانية، والأرض كثيرة شجر الرمان. ويذكر المستشرق الإسباني سيمونيث بأن الاسم يرجع إلى عهد القوط، وأنه مزيج من كلمة ناطة، وهو اسم قرية قديمة تقع قرب البيرة. وكلمة (غار) أضافها المسلمون .([3]) ويقال لها: " غرناطة و أغرناطة، وكلاهما أعجمي، وهي مدينة كورة البيرة، وتسمى في تاريخ الأمم السالفة: سنام الأندلس، وتدعى بقسطليه".([4]) نعود إلى البيت الشعري، وما تجلى خلاله من مشاهد لونية خضراء، توحي بالسعادة. يصف الشاعر هذه المدينة – وقد حُفّت بأسباب العيش الهنئ، حيث الماء، والبهجة، والخضرة. لقد شكّل اللون الأخضر في اللوحة الشعرية ثنائية مع الماء، حتى حملت هذه اللوحة البهجة، والسعادة للناظر، أو المتلقي.

وقال في الشريف القاسم، .([5]) بعد مرض أصابه، يفتديه بالكواكب الخضراء، لمكانته الرفيعة:

فَدَتْكَ كَوَاكِبُ الخَضْرَا ءِ لاَ عَجَمٌ، وَلا عَرَبُ.([6])

وَدُمْتَ الدَّهرَ فِي سُحُبٍ مِنَ الآلاءِ تَنْسَحِبُ

تطلق العرب على السماء خضراء، فتجعل الحديد أخضر، والسماء خضراء([7]). الشاعر وظّف المفردة (الخضراء) في النص، كي تمنح اللوحة الفنية الشعرية بُعداً أفقياً واسعاً، بسعة الفضاء، وما هذا التوظيف إلا لبيان المكانة العظيمة التي يحتلها الممدوح، ومن حيث التوظيفُ اللونيُّ، ومدى تأثيرهِ على قراءة النص، نجد أن المفردتين (الخضراء – سحب) قد رسمتا ثنائية لونية توحي بالعظمة، والعطاء. وذلك وفق الدلالات الرمزية لهاتين المفردتين؛ فالخضراء: تدل على السَّعة، والتطلع، والأفق الذي لا حد له. وكذلك السحب: تدل على الخير الذي يأتي من فضاء هذه الخضراء، ومن خلاله تستمد الحياة ديمومتها.

وقال في وصف جيش القائد العتيد:

يَا قَائِدَ الخَيْلِ المُغِيرةِ بِالضُّحَى ومُزِيرَ رَبْعِ الكُفْرِ كُلَّ مُطَهَّمِ.([8])

(1)الحمودي ، معجم البلدان (ج195/4).

(2)المقري، نفح الطيب (ج148/1).

(3) عنان، دولة الإسلام في الأندلس (ج22/5).

(4)ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة (ص11).

(5)محمد بن أحمد الحسني الشهير بالشريق الغرناطي . أشهر تأليفه (رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة). ابن الخطيب، الديوان (ج124/1).

(6) ابن الخطيب، الديوان (ج1/ 124).

(7) ابن منظور، لسان العرب (ج246/4).

(8) ابن الخطيب، الديوان، (ج537/2). المُطَهَّمُ: المتناهي الحسن، والكريم الحسب. أنيس، وآخرون. المعجم والوسيط (ج569/2).

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

مِنْ كُلِّ بَرْقٍ بِالأهِلَّةِ مُسْرَجٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ (1) بِالثُّرَيَّا مُلْجَمِ

مِنْ أَخضَرٍ كَالحِبرِ أَو مِنْ أَشقَرٍ كَالتِّبْرِ أَوْ مِنْ أَحْمَرٍ كَالعَنْدَمِ (2).

من خلال الأبيات السابقة، نلاحظ أن الشاعر قد قدّم الممدوح بحلّة بطولية، طرّزها بألوان الخيول الأصيلة، التي ترمز إلى العظمة، وقوة السيادة العسكرية، شكل لوحته الفنية الشعرية بمنظر باهر متلألئ حيث الألوان (الأخضر، والأشقر، والأحمر) مَنَحَت النَّص واللوحةَ بُعداً رمزياً يؤكد على القدرة، والسيطرة العسكرية؛ إذ الخيول المسرجة بألوانها الأصيلة المختلفة.

ومن قصيدة يصف مدينة رباط الفتح، التي أسسها أبو يوسف يعقوب بن المنصور الموحدي سنة 594هـ ، يقول بذكراها ابن الخطيب:

وَرِبَاطَ الفَتْحِ يَاحَيَّ الحَيَا مَا بَنَى المَنْصُور فِيهِ وَاخْتَرَعْ .(3)

دَبَّجَ الغَيْثُ بِهِ خُضْرَ الرُّبَى كَيْفَمَا شَاءَ وَوَشَّى وَوَشَعْ (4)

فَإِذَا جَاءَتْ تَحِيَّاتُ الصَّبَا سَجَدَ الدَّوْحُ خُشُوعَاً وَرَكَعْ

استعمل الشاعر مفردة (خُضْرَ) لتدل على النماء، والإزهار الذي شهدته مدينة الرباط بعهد الممدوح، فكأنما عصره المزدهر أضفى على المدينة كل أبواب الخير، والرفاه. جميع هذه الدلالات المجازية تخدم الصورة التي يسعى الشاعر لرسمها في ذهن المتلقي، بأن الرباط التي استمدت جمالها الذي اكتسى الاخضرار، ما كان ليتم هذا الفضل، والنضارة لولا عظمة الممدوح الذي هيّأ لهذا الاستقرار، والاتساع في المدينة، فالخير يعود لمقامه، وحسن قيادته، لهذا جعل من اللون الأخضر أداة رمزية تحوي دلالات كل ما هو إيجابي، ويوحي بروح العظمة والتفاؤل.

2- الـــــكـــــــرم:

ومن قصيدة رثائية قالها بالحرّة السلطانية (جدّة أمير المسلمين أبي الحجاج)، يقول:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَجْدَ أَقْوَتَ (5) رُبُوعُهُ وَصَوَّحَ (6) مِنْ أَدْوَاحِهِ كُلُّ مُخْضَرِّ .(7)

وَلَاحَتْ عَلَى وَجْهِ العَلَاءِ كَآبَةٌ فَقَطَّبَ مِنْ بَعْدِ الطَّلَاقَةِ وَالبِشْرِ

لقد جاءت أبيات ابن الخطيب لتبين أن الكرم والعطاء قد تجلى في زمن ممدوحه، حتى غدا زمنه زمن الخضرة، والعطاء، والسخاء. لذلك فقد اتّسمت الحياة بعد رحيل الممدوح بالجفاف. فكأنما الممدوح دوحة؛ حيث الخضرة، والماء، والعطاء، وبرحيله عمّ الجفاف، والقحط. لقد ساهمت المفردات: (أقوت – كآبة – قطب) في التعبير عن زوال جماليات الدوحة

(1) قيد الأوابد: فرسٌ قيد الأوابد: سريعُ العَدوِ يدرك الوحوش ويمنعها الشِّراد، فكأنه قَيْدٌ لها. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج2/1).

(2) التِّبرُ: فُتات الذهب قبل أن يُصاغ. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج80/1). والعَندَمُ: خشبُ نباتٍ يُصبغُ به، ويقال له: دَمُ الأخوين، أو البَقَّمُ. ابن ابن منظور، لسان العرب (ج430/12).

(3) ابن الخطيب، الديوان (ج660/2).

(4) دبَّجَ المطرُ الأرضَ: سقاها فاخضرّت، وأزهرت. أنيس، وآخرون. المعجم الوسيط، (ج268/1). وَشَعَ الشّيءُ الشّيءَ: علاهُ. يقال: وَشَعَهُ الشيبُ، وَشَّعَ الثّوبَ: رقمه بعلمٍ ونحوه. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج1034/2).

(5) أقوَت الدّار: خلت من ساكنيها. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج768/2).

(6) صوَّحَ النبتُ: يَبِسَ حتى تشقق. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج528/1).

(7) ابن الخطيب، الديوان (ج396/1).

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

الخضراء، بل أحالت جمالية الأخضر، الذي يرمز إلى الزَّهْوِ، والرخاء إلى العبوس، والتَّقطيب. لعل الشاعر استطاع أن يعبر عمّا يشعر به من ألم الفراق؛ حيث أسقط الشعور الضمني على معطيات الحياة الجميلة، وذلك بالاعتماد على البعد الجمالي الفلسفي للون الأخضر.

وفي موضع آخر، وجرياً على عادة الشعراء، يقول ابن الخطيب في رثائه لأبي الحسن المريني:

خَضِرُ الجَنَابِ (1) سقى معاهِدَهُ الحَيا وعلا على كَنْزِ الْجَلال جِدارُهُ .(2)

أتى الشاعر في البيت بمفردة (خضر)؛ كي تضفي على النص روح التفاؤل، والعطاء. لقد استعمل المفردة اللونية في معناها المجازي، ليوضح كرم الممدوح، الذي عُرف به، وعلا شأنه وهو خصلة عربية امتاز بها الممدوح، حتى تجلى ذِكره بين الناس، كما هو الحيا في الأرض أينما حل تباشر به الناس، واخضرّ المكان، وطابت النفوس. الشاعر جعل من اللون الأخضر أداة لاستحضار الماضي الجميل، ماضي الممدوح، الذي عمّ كرمه على الجميع وعلا شأنه، وهذا من جماليات اللون، الذي يمكن أن يأخذ النَّص إلى أبعاد رمزية، يكسوها الاخضرار الذي يرمز إلى كرم الممدوح.

قال في ابن مرزوق .(3)

متى جادَ بالدِّينارِ أَخْضَرَ زائفاً وَدَارَتُهُ دَارَت عَلَيهَا الدَّوائِرُ .(4)

تَذَكَّرْتُ بيتاً في العِذارِ لِبَعْضِهِمْ لَهُ مَثَلٌ بِالْحُسْنِ في الأرضِ سائرُ

(ومَا اخْضَرَّ ذَاكَ الخَدُّ نَبتاً، وإنَّما لِكَثْرَةِ ما شُقّتْ عَلَيْهِ الْمَرائرُ) .(5)

وجاهُ (ابْنِ مَرْزُوق) لَدَيَّ ذَخيرةٌ وللشِّدَّةِ الْعُظْمَى تُعَدُّ الذَّخائِرُ

في البيت السابق، وظف الشاعر اللون الأخضر، المتمثل في اخضرار الدينار، الذي يوحي بالكرم، والعطاء الجزيل. قدم اللون الأخضر في اللوحة الشعرية، وقد تمثل في المال، عَصَبِ الحياة، وبه تنقضي الحاجاتُ، فكأنما التوظيف اللوني الأخضر هنا، جاء كمعادلٍ موضوعيٍّ للمال، ولكرم الممدوحِ، الذي يملك المال. فالشاعر في حالة شدّة وضيق مالي استخدم الأخضر في اللوحة كرمز للعطاء، والكرم المنشود من الممدوح، كي تنقضي الحاجة، ويعم الفرح، والسرور، وهذا ما يوحي به اللون الأخضر، ذو الرمزية الذهنية الإيجابية السعيدة.

3- الـــــحـــــــب:

ذكر الشاعر لسان الدين بن الخطيب عدداً من الأبيات، تضمنت المفردةَ اللونيةَ الخضراء، التي تحث على التقيد بوصال الحبيب، ولأن اللون الأخضر لون الربيع، والزهور، لون التفتح والإشراق، لون السلام ، جميع هذه الدلالات، دعت الشاعر لِأَن يتأثر بفصل الربيع، الأخضر، الجميل، فيقتبس من جماله، ويسقطه على جمال الحبيب بشكل رمزي جاذب. وهذي هي مهمة

(1) خضر: الخَضِرُ: الزّرع الغضُّ الأخضر، والخَضِرُ: المكان الكثير الخُضرَة. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، (ج240/1). والجَنَاب: الناحية، يقال: فلانٌ رَحْبُ الجَنَاب، وخصيب الجَناب: سخيٌّ. أنيس، وآخرون، المعجم والوسيط، (ج138/1).

(2) ابن الخطيب، الديوان (ج396/1).

(3) محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي الخطيب المشهور بالجد وبالخطيب أبو عبدالله شمس الدين 710-781هـ. ابن الخطيب، الديوان، (ج99/1).

(4)ابن الخطيب، الديوان (ج421/1).

(5)هذا البيت للحاجري (ت 632هـ). ابن الخطيب، الديوان (ج 421/1). المرائرُ: جمع مرارةٍ: وهي كيس لاصق بالكبد، تُخْتَزَنُ فيه الصفراءُ. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج 862/2).

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

الشاعر البارع بتحريك الساكن، وتسكين المتحرك في هذه الطبيعة بشكل يتوافق مع السياق العام للفكر، ويدعم المناسبة، فالشعر " بمنزلة النسيم الذي يحرك عذبات أفنانها، وهو المزمار الذي ينفخ الشوق في براعته"([1]) . والشاعر يصوغ الأبيات، ويرسم اللون الأخضر على لوحة حبه، وأشواقه بشكل إيحائي جميل.

ومن قصيدة قُدمت على أسلوب مهيار يقول :

قَدْ أَسَرْتُمْ قَلْبي فَهَلْ من فِداءٍ واشْتَرَيْتُمْ نَفْسي فَهَلْ مِنْ إِقَالَه.([2])

وكَسَا من نَمارق السُندسِ ([3]) مُخْضَرٌ دهناءَ بالحَيَا ورِمالَه

يَالقَوْمي مِنْ ذِكْرِ تِلْكَ المَغانِي ما لِقلْبي يَهوى إلاهَيْنِ مَا لَه ؟

لقد أضفت الصورة اللونية (السندس المخضر) على النص الشعري روح الحيوية، والديمومة. استطاع الشاعر أن يوظف اللون الأخضر، كأداة رابطة بين الحياة والموت، وذلك بوصل الحبيب. لقد أحدث هذا الاتصال الحميم بالحبيب علاقة اتصال، حوّلت صحراء الدهناء القاحلة إلى سندس مخضر. فلا شك بأن هذا التحول المجازي، القائم على أبعاد اللون الأخضر الرمزية، إنما هو ترجمة لما تحمله المشاعر الباطنة، من أحاسيس، ومشاعر تجاه الحبيب، فكأنما حياته قبل وصالها صحراء جافة، لا خضرة فيها ولا نضارة، وأمّا بعد وصالها فقد تحولت إلى واحة خضراء، تزهو بأجمل البساتين، والورود.

ويقول في الممدوح:

إني ظَفِرْتُ بِمِنْحَةٍ وَذَخيرةٍ مِنْ وُدِّكَ الْباقي على الأَزْمانِ .([4])

وَغَرَسْتُ حُبَّكَ في الفُؤَادِ فَأَصْبَحَتْ أَدْواحُهُ مُخْضَرَّةَ الأفْنانِ

وَلَكَمْ أَخٍ لِلْخَطْبِ قَدْ أَعْدَدْتُهُ لَمْ تَجْنِ مِنْهُ يَدِي سِوى الخُطبانِ.([5])

قدّم الشاعر اللون الأخضر في النص الشعري، المتجلي في الصفة (أدواحه مخضرة)، ليضفي عليه بُعداً لونياً عميقاً . لقد شكل الفعل (غرست) في اللوحة الشعرية دلالة الانتماء، والحياة التي تبدأ بالغرس الذي يوحي بالتفاؤل بالمستقبل؛ فالشاعر أسقط على النص الشعري حركة الطبيعة النباتية التي تبدأ بالغرس، حتى تجلى بأبهى صورة عن تمامها، فكأنما هي دوحة مخضرة الأفنان. لقد ساهم اللون ببعده الرمزي في توضح الشعور، والإحساس عن طريق اللون الأخضر، لذلك عمد الشاعر – بطريقة بارعة – إلى استخدام جماليات الطبيعة الخضراء كمعادل موضوعي، لما يشعر به تجاه الممدوح، وهنا تمكن الجمالية الفنية بإسقاط الأبعاد الرمزية للون الأخضر، فكأنه بهذا التوظيف يبين بأن الحب ما هو إلا نَبْتَةٌ غرسها الممدوح في قلبه فنمت، وكَبِرَتْ فأصبحتْ دوحةً ذاتَ أفنانٍ زاهيةٍ.

(1) ابن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف (ص29).

(2) ابن الخطيب، الديوان (527/2). إقالة: يقال: أقالَ البيع، أو العهد: فَسَخَه. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج 770/2).

(3) نمارق: جمع نُمْرُق، ونُمْرُقة: الوسادة الصغيرة يُتكأُ عليها، والطِّنفِسة. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج 954/2). والسندسُ: ضربٌ من رقيق الدِّيباج. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج454/2).

(4)ابن الخطيب، الديوان (ج 587/2).

(5) الخُطْبانِ: بالضم: نبتٌ من آخر الحشيش كأذناب الحيّات، أطرافه رقاق، تشبه البنفسج، شديد المرارة. ابن الخطيب، الديوان (ج587/2).

4- الشـــــوق والـــحنـيـــن:

شكا لسان الدين من الغربة في كثير من قصائده، وصور تلك الآلام بألوان مختلفة، تعبر عن مدى ما يعانيه من آلام وحسرات؛ لذلك وظف اللون الأخضر في هذا الغرض الحزين، كي يُبقيَ أملَ الوصالِ، وأملَ العودة وذلك لأن؛ اللون الأخضر، يحمل رمزية الصفاء، والتفاؤل والسلام وهو ما يدعو إليه الشاعر في معرض قصيده في هذا الموضوع.

وفي موطن آخر، يتجلى اللون الأخضر في سؤاله عن حال بلاده، يقول الشاعر:

سَلاَ، ([1]) هَلْ لَدَيْهَا مِنْ مُخبِّرَةٍ ذِكْرُ؟ وَهَلْ أَعْشَبَ الوَادِي، ونَمَّ بِهِ الزَّهْرُ؟ .([2])

وَهَلْ باكَرَ الْوَسْمِيُّ دَاراً على اللِّوى عَفَت أَيَّامُها إلاّ التَّوَهُّمُ، والذِّكْرُ
بلادي التي عاطَيتُ مَشْمولَةَ الهَوَى بِأَكْنافِهَا، والعيشُ فَينانُ مُخْضَرُّ.([3])

يتساءل الشاعر عن حال بلاده، فتأتي الأوصاف البهية بكلمات الحنين، والاشتياق إليها. لقد شكّل اللونُ الأخضر في اللوحة جمالية مدينة سلا، ففي اللوحة تساؤلات يمكن وصفها بالألوان المتناقضة؛ فالشاعر بعدما هجر المدينة، وحل بها دمارُ الحرب، تبدت صورتها في ذاكرتِهِ، إنها المدينة الجميلة، ذات الخضار، والأشجار، والأنهار. لكن هذه الصور تخالف الواقع، الّذي تعيشه في تلك الفترة، فهي تحت وطأة الحرب والدمار. وقد برع شعراء الأندلس، لاسيّما ابن الخطيب بالحنين إلى بلادهم وتساؤلهم الدائم عن الوطن، وهذا يدل على " صدق عاطفةٍ، وإحساسٍ مرهفٍ، ونفوسٍ، معذبةٍ، تجرعت مرارة الغربة، فكان حنينُهم أصدقَ ما قيل في هذا الباب، وأبلغه على مر العصور"([4]). لكن الشاعر لم يجد بُدّاً من الخروج من هذه الصورة الواقعية الحالية المريرة، إلّا بفتح الأفق أمام التساؤلات، وإعادة ذكرى الأيام الخالية، وهو بهذه الذكرى الوصفية أسبغ على المدينة جمالاً ونضارة فتجلى المكان أخضرَ زاهياً بهيّاً.

وفي موضع آخر، يصف الصداقة التي أصبحت بينه وبين الممدوح فيقول:

حَنَّتْ لِخُضْرِ رُبَىً وَزُرق مِيَاهِ وَجَآذِرٍ([5]) من قَوْمِهَا أشبَاهِ.([6])
فتجاذبت جُدُلَ ([7]) الأَزِمَّةِ وانْبَرَتْ تَحْكي البوارقَ سِرْعَةً وَتُضاهي
سيفٌ على كفِّ الخِلاَفَةِ صارِمٌ عَلَمٌ على ثَوْبِ الْجَلالِ الزَّاهي

بدأ ابن الخطيب بمفردة (حنّت)، التي توحي بالشوق، والحنين. لقد شكلت (خُضر الرّبى) منعطفاً دلالياً اتضح من خلاله العلاقة الحميمة بين الشاعر والممدوح، فمن خلال هذا التوظيف اللوني في خضر، برزت العلاقة الطيبة التي دائماً ما يرمز لها باللون الأخضر؛ فالأخضر: هو لون الصداقة، والسلام، لذلك عمد الشاعر إلى توظيفه في النص، لبيان العلاقة الوطيدة بين القائد الممدوح، والشاعر. وهو بهذا يبعث برسالة غير مباشرة للمتلقي بأنه يحظى باهتمام وبصداقة الممدوح، وهذا أمر لا يتأتّى إلا لقلّة قليلة من الناس. لقد ساعدت الدلالة الرمزية للون الأخضر في قراءة ما خفي تحت رمزية هذه المفردة اللونية.

---

(1) سلا: مدينة واقعة على ساحل المحيط الأطلسي. ابن الخطيب، الديوان (ج1/90).

(2)ابن الخطيب، الديوان (ج1/414).

(3) عاطاهُ الشّيءَ مُعاطاةً وعِطاءً: ناوله إيّاه. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، (ج2/609). والفينانُ الحَسَنُ الطويلُ. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج 2/709).

(4) عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين (ص215).

(5) جآذر: مفردها: جُؤْذَر، و جُؤْذُر: ملد البقرة الوحشية. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، (ج1/103).

(6) ابن الخطيب، الديوان (ج2/746).

(7) جُدُل: مفردها: جديل: الزِّمامُ المفتولُ مِنْ أَدَمٍ، أو شعر. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، (ج1/111).

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

5- الـــسعـــادة، والـــنعيـــم:

ارتبط اللون الأخضر بالسَّعادة، والنعيم؛ لأنه غالباً ما تقترن الراحة باللون الأخضر، الذي يحمل رمزية الاستقرار النفسي، فالشعر – كما هو معلوم – شعور، ونقل للمشاعر بواسطة الكلمة، لذا عندما ترتسم الصورة في ذهن الشاعر لمناسبة ما ينتقي ما يناسبها من المفردات واللون، كي تصل للمتلقي بأجمل حلّة. والشاعر عندما يصفو عالمه من كدر الحياة، يتجلى اللون الأخضر في قصيده، فيأتي كمعادل موضوعيٍّ لشعوره الخفي. لذلك نجده يقول:

أقول لِصاحبي، والرَّاح تجري وَوَرْدُ الْأُنْسِ مَبْذُولُ الوُرُدِ .([1])

وقَدْ ماسَتْ غصونُ البانِ سُكْراً مِنْ الأوراق، في خُضْرِ الْبُرُوْدِ .([2])

استطاع الشاعر أن يرسم لوحة فنية، تجاذبها ألوان، توحي بالسعادة والراحة النفسية؛ حيث قدّم النص وكأنه في حديقة غناء، فشكلت المفردات: (الورود – غصون – أوراق – خضر) دلالات رمزية سعيدة. لقد اختار الشاعر توظيف هذه المفردات، التي يطغى على لونها الاخضرار، كي يعبر عن حالة نشوة وأنس، لا يتوافق معها سوى هذا اللون الذي يوحي بالسعادة.

وقال في وصف النعيم، والأمان المستدام في عهد الممدوح:

ولازالَ ظِلُّ الْبانِ فيكِ مُنَعَّماً يَميسُ مِنَ الْأَوراق في حُلَلٍ خُضرِ.([3])

مَتى ظَعَنَ الْحَيُّ الْجَميعُ وأَصْبَحوا كما افْتَرَقَ الْحُجّاجُ في لَيْلَةِ النَّفْرِ

في الأبيات السابقة، وظف الشاعر اللون الأخضر، لبيان العهد الزاهي، فالخلافة في عهد الممدوح زاهية، يجاذبها السمو، والخضرة، والشاعر حينما يلوّن النص الشعري باللون الأخضر يبعث في النص، ونفسِ المتلقي روح الحيوية، والأمن، والسلام. وتكمن جمالية توظيف المفردات في السياق العام للنص في (ظل البان). معلوم بأن شجر البان طويل، شديد الخضرة، الشاعر بهذا، أضفى على النص جمالية؛ ساهم اللون الأخضر بلوغها إلى آفاق أبعد، لا تتم بدونه. لقد أشاد بعهد الممدوح من خلال هذا التوظيف اللوني، فأضفى على ذلك الزمن صفتي العلو، والعيشِ الهنئ.

ب- اللون الأخضر: غير المباشر:

تُعدُّ الطبيعة ملهمة الشاعر الأولى، لقد ألفها الشاعر وتفاعل مع حركاتها، وسكناتها وجمالياتها، فهي مورد خواطره، وباعث شجونه، ومنها ينسج صوره الرائعة. لذلك سعى الشعراء، – على مر العصور– إلى تَأَمُّلِها، بما تحويه من جماليات، تعجز الكلمة، في أحيان كثيرة عن التعبير عنها. إنّ شغف الشاعر بجماليات الطبيعة أمر قديم، يكاد يكون فطرة كونية، فطر عليها الإنسان. فالآداب جميعها – على مختلف العصور – أعطت مساحة واسعة، من آدابها لقراءة الطبيعة، ومحاكاة جمالياتها، من خلالها يستطيع الشاعر أن يجري حواراً نفسياً وجدانياً، بين خواطره، وأركان الطبيعة الشاسعة، فيصله بها في سياق نص شعري يختزل، ما في الطبيعة الواسعة، ويصوره بلوحة شعرية محددة الأبعاد واسعة الدلالة. الشاعر ابن الخطيب – ابن الطبيعة الأندلسية الساحرة – حاول في مواطن كثيرة تطويع المفردة، لتنقل الصورة من الطبيعة إلى نصه الشعري، فأخذ منها

(1) ابن الخطيب، الديوان (ج283/1).

(2) البُرُود: جمع: بُرْدٍ: كِساء مخطَّط يُلتحفُ به. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج48/1).

(3) ابن الخطيب، الديوان 375/1.

الدلالات الرمزية، ووظفها في جوهر قصائده، حيث ظهرت لوحاته الشعرية بصيغة لونية خضراء ذات دلالات وأبعاد مختلفة.

وظّف الشاعر لسان الدين بن الخطيب اللون الأخضر – بشكل غير مباشر– في عدد من الأبيات الشعرية، لقد سخّر جماليات الطبيعة الخضراء في تكوين أركان لوحته الشعرية، التي تجاذبتها جماليات الأخضر الإيحائية. فعندما ينتقي من الطبيعة، ذات اللون الأخضر الزاهي أجمل الرياض، وأرحب الحدائق، وأنضرها، ويسقطها على جمال الممدوح، أو الحبيب، عندها يتعانق الجمال مع مقام الممدوح العطر، فتبرز الصورة أمام المتلقي، بأجمل حلّة، وأنقى منظرٍ. وظف ابن الخطيب، ما في الطبيعة الصامتة من أشياء، تتمتع بالنضارة، والخضرة، لخدمة نصه الشعري. لذلك، فالشاعر عندما يصف الطبيعة، أو خلافها، فما ذلك إلا جزء من منطقه؛ " لأن النفس محتاجة إلى ما يكشف لها من الموجودات، ويكشف للموجودات منها، ولا يكون ذلك، إلا بتمثيل الحقيقة، وتأديتها إلى التصوّر، عن طريق السمع، والبصر، والفؤاد" ([1]) .

1- الـــــــروض:

أوجبت الطبيعة الأندلسية على شعرائها نقل جمالها، من خلال الكلمة والتصوير الشعري. لقد سيطر هذا الجمال الطبيعي على متذوقي الفن؛ إذ وجدوا أنفسهم أمام وظيفة فرضتها البيئة، والإحساس الأدبي المُلقى على عاتقهم، لنقل المشاهد الساحرة عن طريق الكلمة، والصورة الفنية. ولذا فإن الشاعر ابن الخطيب – أحد أبناء هذه الطبيعة البديعة – ساهم بنقل هذا الجمال، عن طريق الكلمة والصورة، والإحساس الأدبي الرفيع، فنقل للوحته الشعرية الربيع بأجمل حُلله، وأزهى ألوانه، وأصباغه المتناثرة في رياضه.

من أبيات لقصيدة، تجلت الرياض الأندلسية على أرضها، يصور الشاعر هذه الرياض، فيقول:

يَا صاحِ، لا تَبْكِ عَهْداً لِلْوِصالِ مَضى عَنَّا حَمِيداً وأوطَاراً وَأوطَانا.([2])

هَوِّنْ عليكَ، فَما الشَّكْوى بِنافِعَةٍ وَكُلُّ صَعْبٍ إذا هَوَّنْتَهُ هانا

وَانْظُر إلى الرَّوضِ إذْ هبَّتْ مُحَدِّدَةً .([3]) طَلائعُ الرِّيحِ كَيْفَ اهتزّ وَازْدَانا

وظّف الشاعر الدلالة الرمزية للون الأخضر، بشكل يوحي بالتفاؤل، وبث روح الحياة في الوجود، لقد شكل فعل الأمر لوحةً فنيةً، أخذت السياق والدلالة الشعرية إلى أبعاد تحفها روح السعادة، والتفاؤل. وتشكلت الصورة الشعرية، وفق معطيات زمنية متباينة، إذ يمكن قراءة النص، بأن اللون الأخضر، يدعو إلى الفرح، وحسن الظن بقادم الأيام، فالشكوى والبكاء الذي تجسد في الماضي، كان أمراً مرفوضاً، لذلك جاء الأمر (انظر). كما شكلت المفردة اللونية (الروض) تحولاً في الدلالة الزمنية، فكأن الماضي قد توشح لون الكآبة والبكاء والشكوى، فأتى المستقبل؛ ليكشف هذه الغُمة، بلون أخضر، كما هو الروض الباسم العطر.

ومن أوصاف متعددة نبيلة، تجلت في الممدوح الخليفة (أبي عنان المريني)، يقول لسان الدين بن الخطيب:

بِخَلِيفةِ اللهِ المُؤيَّدِ (فَارِسٍ) قَمَرِ المَعَالي، الأَزْهَرِ الوَضَّاحِ.([4])

(1) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب (ص114).

(2) ابن الخطيب، الديوان (ج582/2).

(3) مُحدِّدَة: الريح المُحدِّدة: الغاضبة. ابن الخطيب، الديوان (ج582/2).

(4) ابن الخطيب، الديوان (ج233/1).

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

مَا شِئْتَ مِنْ هِمَمٍ ومِن شِيَمٍ غَدَتْ كَالرَّوضِ، أو كَالزهرِ في الأَدْواحِ

فَضَلَ المُلُوكَ فَليس يُدركُ شَأْوُه([1]) أَنَّى يُقاسُ الغَمْرُ بِالضَّحْضَاحِ.([2])

جاء التوظيف اللوني للأخضر هنا في بيان مكارم الأخلاق، و الخصال النبيلة الرفيعة، إذ استطاع الشاعر، أن يقيم لوحة فينة تجاذبت ألوانها بين الأخضر والأبيض، فالمفردات: (قمر – أزهر– روض – زهر)، حملت دلالة رمزية، وضعت الممدوح في مقام رفيع، ودوحة ناضرة الروض، مختلفة الزهر. لقد قامت الصورة على الجمال العلوي، الذي يوحي بالمقام الرفيع؛ لذلك وظّف القمر الوضاح أداة مشابهة، وأيضاً قطف من الأرض أجمل مناظرها، حيث الروض، والزهر، والماء، فصبغ الممدوح بهذا اللون الأخضر الناضر.

ويقول في الممدوح:

إِذا سَاعدتَهَا هَبَّةُ الرِّيحِ أَسْرَعَتْ كَما انْسابَ أَيْمُ الرّوضِ غِبَّ ([3]) انْسِلالِهِ.([4])

لَما امْتَازَ يومُ العيدِ مِنْ يَوْمٍ غَيرِهِ فَذِكْرُكَ عِيدٌ كُلُّهُ في احْتِفالِهِ

وَدُونَكَمَا كَالرَّوضِ عَاهَدهُ الْحَيَا وَجَرَّ عَلَيهِ الْفَضْلُ ذَيلَ اعتدَالِهِ

إِذَا لم يَكُن في السَّيفِ مِن طيبِ طَبعِهِ له صَيْقَلٌ لم يُنْتَفَعْ بِصِقَالِهِ

استطاع الشاعر أن يوظف اللون الأخضر بشكل غير مباشر ، إذ إنَّ مفردة (الروض) قد أضفت على النص، نشوة الربيع المزهر المعطاء. رسم الشاعر لهذه المفردة معادلاً موضوعياً إيحائياً، فكأن المفردات تتبادل الدلالات الرمزية؛ فالروض يقابله (العيد و الحيا)، وهذه كلمات ذات دلالات مُحَبَّبَهِ ونادرة الحدوث، لقد أسقط الشاعر الدلالة الرمزية لهذه المفردات على الممدوح، بشكل غير مباشر، وما كان له أن يقدم ذلك المعنى الخفي، بدون التوظيف اللوني، الذي نقل النص إلى آفاق خضراء تتناسب مع مقام الممدوح:

شرفٌ يَجُرُّ على المَجَرَّةِ ذَيْلَهُ بَلَغَ السَّماءَ، وزاحَمَ الأَفْلاكَا.([5])

وَنَدىً كَصَوْبِ الغيثِ إلا أَنَّهُ لا يَعْرِفُ الإمْحَالَ والإمسَاكَا

وَخَلائِقٌ كَالرَّوْضِ زاولَهُ الْحَيا غِبّاً، ودبَّجهُ الربيعُ وَحاكا

(1) شأوُهُ: الشَّأو: الأمد، والغاية. يقال: إنه لبعيد الشَّأو: أي الهمة. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج 470/1).

(2) الغَمرُ: من الماء: هو الذي يعلو من يدخله، ويغطيه. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج 661/2). والضحضاح: ماء الضحضح: قريب القعر، وهو القليل. ابن الخطيب، الديوان (ج 233/1).

(3) غِبَّ: بَعْدَ. يقال: جاءَ غِبَّهُ. جمع أغباب. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج642/2). أَيْمُ: الأيمُ: الحية الذكر، جمع أُيوم. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج34/1).

(4)ابن الخطيب، الديوان (ج485/2–486).

(5) ابن الخطيب، الديوان (ج469/2).

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

تناولت الأبيات مقام الممدوح، بأسمى تعبير شعري، تجلى بصورة، عانقت السماء شرفاً، وكرماً كالغيث؛ بثّ في الحياة نشوة ازدهار، لا يعرف الإمحال، والإمساك، وختم المشهد بكريم الخُلق، وهو الوعاء الحقيقي لكل فضيلة، فكأنما هذه السمات جُمعت في روضة خضراء تمثلت في كريم خُلق الممدوح. لقد تروح المشهد بين السماء، والأرض حتى انتهى إلى قالب جمع تلك الفضائل. لقد شكلت المفردات: (شرف، ندى، خلائق) بما تحمله من إيحاءات لونية، حيث مقام الممدوح طاول الثُّريا رفعة، وعزّة. أمّا كرمه فيشبه الغيث، إلا أن الغيث ينقطع، فتصفرُّ الأرض، وتمحل، بينما كرم الممدوح، كالروض خضرةً، وجمالاً، وديمومة. لقد أضفت الألوان الجذابة: (الأبيض، الأصفر، الأخضر...) على اللوحة الشعرية جمالاً لونياً آسراً، غير أن رمزية اللون الأخضر في البيت الأخير، بما فيه من اخضرار الروض، وجمال الربيع، ساهمت في بيان سجايا الممدوح، وجبلّته الخيّرة.

وفي موضع آخر، يصف الممدوح، الذي سخر نفسه، وسلطاته لخدمة دين الله الحنيف، فيقول:

فَهَزَّ بِكَ الدينُ أَعْطَافَهُ كَما اهْتَزَّ غُصْنُ الرِّيَاضِ الْمِجُودْ.([1])

من خلال التوظيف اللوني الأخضر في البيت الشعري، نستطيع قراءة اللون، و رمزيته الدلالية. أضفى الشاعر على عصر الممدوح سمة الازدهار، والرخاء، وخدمة الدين ، إذ إن لهذا الرخاء انعكاساً على القوة، التي جعلت دين الله في انتشار، وازدهار في البلاد، وبين العباد.

ومن أبيات يصف الممدوح، فيقول:

رَوْضٌ مِنَ العِلْمِ هَمَى فَوْقَهُ مِنْ صَيِّبِ الفِكْرِ الْغَمامُ السَّفُوحُ.([2])

فَمِنْ بيانِ الحقِّ زَهْرٌ نَدٍ وَمِنْ لِسانِ الصِّدْقِ طَيْرٌ صَدُوحُ

لقد شكلت مفردة (روض)، ذات السمة اللونية، الخضراء، لوحة فنية، بيّنت سمات الممدوح، التي تشكلت في ذاته، كأنما هي الروض ، حيث (العلم – الفكر – الحق – الصدق)، جميع هذه الصفات، جُمعت في ذات الممدوح، فتبدّت ذاته، كأنما هي روضة عطرة، جمعت فيها تلك الفضائل الجسام.

يقول في الممدوح :

بِيُوسُفَ لاحَ الْحَقُّ أَبْلَجَ واضِحاً وَأَصْبَحَ دِينُ اللهِ فازتْ قِداحُهُ.([3])

يُقَصِّرُ نَفْحُ الطِّيبِ عن طيبِ ذِكْرِهِ وَيُزْري بِأَزْهارِ الرِّياضِ امتداحُهُ

(1) ابن الخطيب، الديوان (ج1/263).

(2)ابن الخطيب، الديوان (ج1/238).

(3) ابن الخطيب، الديوان (ج1/220). فازت قِداحُهُ: فازَ قِدْح الْمَيْسِر: رَبِحَ. أنيس، وآخرون. المعجم الوسيط (ج 2/705).

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

وظّف ابن الخطيب اللون الأخضر، المتمثل في الدلالة الرمزية للرياض، ولعل استحضار الأخضر، بشكله الضمني، يصوّر الحالة الشعورية النفسية للشاعر تجاه الممدوح. وبذلك تتضح معالم الرؤية اللونية الخضراء، وهي رؤية أضفت عليها الصبغة الخضراء الزاهية، فناً جمالياً، نقل الممدوح إلى عالم النبات الجميل، فتجلى كأنه روضة، أحاطت بها الأزهار العطرة.

الـــجـــنـــة:

ساهم النص القرآني والحديث النبوي و التراث الفكري بترسيخ دلالة رمزية للون الأخضر، فهو في النصوص: رمز الحياة الخالدة، ورمز السعادة الباقية. إن لديه صلة مباشرة، وجدلية، بالطبيعة في الحياة الدنيا وبالجنة في الحياة الآخرة. لذلك أكثر الشاعر من توظيف الجنة في السياق الشعري، ونقل الدلالة المعرفية للجنة، إلى جوهر القصيدة، حتى ظهرت اللوحة الشعرية للجنة، بصبغة لونية خضراء، ذات إيحاء رمزي وبُعد فكري فلسفي عميق، فاستقتِ اللوحة من هذا الفكر الضمني للمفردة، حيويتها، ونضارتها وجمالها. لقد تجلت المفردة اللونية الخضراء (الجنّة) في الديوان الشعري، وهي تدور حول أمرين: الأول: المكان، حيث قدّم ابن الخطيب المكان كأنما هو جنة، وهذا يعود إلى جمال الطبيعة الأندلسية التي أضفت على المكان نضارة الجِنان. والشاعر وافر العطاء، لم يترك مكاناً جميلاً ولا فناً إلا " جمع بينه وبين مناسبة ، ولا نوعاً إلا ضمه إلى ما يليق به، فاستكثر من الشعر لأنه من الشجرة بمنزلة النسيم الذي يحرك عذبات أفنانها، وهو المزمار الذي يفتح الشوق في براعته" .([1])، أما الثاني: فهو الحبيبة، لقد تجلت الحبيبة ووصالها، وذكرى أيام وصالها كجنة، منحت القلب سعادة وانشراحاً، لذلك تبدو الحياة معها، جنّة وبدونها تغدو كئيبة.

قال في بَنْيونُش سَبْتَةَ :

بَنْيونُشٌ أَسْمَى الأَمَاكِنِ رِفعَةً وَأَجَلُّ أَرضِ اللهِ طُرّاً شَانَا.([2])

هِيَ جَنّةُ الدُّنيَا الّتي مَنْ حَلَّهَا نَالَ الرِّضَى وَالرَّوْحَ وَالرَّيْحَانا

قَالُوا: القُرُودُ بِهَا فَقُلتُ فَضيلَةٌ حَيَوَانُهَا قَد قَارَبَ الإِنسَانَا

للمكان اهتمام خاص، ومتفرد في وجدان الشاعر ابن الخطيب، الشاعر – في أبيات عدّة – قدّم المكان بشكل جميل أسبغ على أرجائه روح الحيوية، فاستمد شموخ البقاء والإعزاز، لذلك نجد أن مدينة (بنيونش)قد تحلّت بجماليات، وصفات جعلت الشاعر يشبهها بـــ(جنة الدنيا). من خلال هذا التوظيف نجد أننا أمام صورة فكرية، اكتست بصبغة لونية خضراء، وذلك من خلال تشبيهها ببعض الأشياءِ ذاتِ الأصباغ اللونية الخضراء، سواء ما نشاهد، ونعرفه كالريحان، أو ما نستقي دلالته من التراث الإسلامي، والبعد الفكري كالجنّة، وهو بهذا التوظيف المعجمي، أضفى على النص صورة لونية بثّت في الجماد روح الحياة الباقية.

وفي موطن آخر يقف على ذكرى أيام الشباب والوصال فيقول:

وَوَصْلٍ كَأَنّا مِنْهُ في سِنَةِ الكَرَى وَعَيشٍ كَأَنَّا مِنهُ فِي جَنّةِ الخُلدِ.([3])

(1) ابن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف (ص29).

(2) ابن الخطيب، الديوان (ج608/2).

(3) ابن الخطيب، الديوان (ج302/1).

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

مَرَابِعُ ٱلأَفي ([1]) وَعَهْدُ أَحِبَّتِي سَقَى اللهُ ذَاكَ العَهْدَ مُنْسَكِبَ العِهْدِ ([2])

لقد جاءت أبيات ابن الخطيب السابقة على دَأْبِ مَنْ سبقه من شعراء المشرق، إذ وَصَفَ أيام الوِصالِ بالسّعادة، والإشراق، فمن خلال توظيفه الكلمات (عيش – وجنة – ومرابع)، نقلت الصورة إلى آفاق تحفها السعادة التي تتوافق مع الدلالة الرمزية للون الأخضر. لقد قرن وقت الوصال بالمستقبل، وبقي في حسرة حاضره المرير، فكأن الأبعاد اللونية ساهمت بشكل غير مباشر في التعبير عن وضعه الراهن الكئيب، الذي لم يجد منه مخرجا، غير استدعاء الذاكرة واللون لتشكيل لوحة الذكرى.
ومن أبيات يصف الشاعر وصال الحبيبة بالجنة، يقول:

وَنَنْعَمُ مِنْ وَصْلِ الحَبِيبِ بِجَنّةٍ هِيَ الخُلْدُ لَكِنَّ الفَتَى غَيْرُ خَالِدِ.([3])

وَلَمّا اسْتَمَالَ النَّومُ وَالكَأسُ جَفْنَهُ وَأَلقَى لِسُلطَانِ الكَرَى بِالمَقَالِدِ

نَضَحْتُ عَلَى نِيرَانِ قَلبِي بِقُربِهِ وَوَسَّدْتُهُ مَا بَيْنَ نَحْرِي وَسَاعِدِي

في الأبيات السابقة، تمثلت الجنة – بما تحمله من دلالات سعيدة – بوصال الحبيبة، لقد تجلى إيحاء الجنة اللوني في النص الشعري، حتى بلغ من وصال الحبيبة منتهى السعادة، ولا شك بأن الأثر الديني، قد سيطر على قول ابن الخطيب، فهو متدين بالفطرة، سرعان ما يستغفر إذا أذنب في القول، لذلك كان التوظيف اللوني الأخضر مرتبطاً في بنظرته الثقافية الدينية الواردة في القرآن والسنة النبوية. الأبيات السابقة خرجت على هذا الإطار الديني، غير أن التشبيه بقي معلّقاً بفطرته الدينية، فالصورة – إن صح التعبير – وقعت بين الواقع، والمأمول، غير أن أهواء النفس أخذت الصورة وأطرتها بإطارٍ حفّه إخضرار، وسعادة بِوِصالِ الحبيبة:

وَجَعَلْتُ حُبَّكَ مَذْهَباً وَشَرِيعَةً قَلَّدْتُهُ يَا حَبَّذَا التَّقْلِيدُ.([4])

إِنْ نَالَتِ الشُّهَدَاءُ جَنّاتِ العُلَى وَلَهُمْ نَعِيمٌ عِندَهَا وَخُلُودُ

فَلَقَدْ شَهِدْتُ بِأَنَّ قُربَكَ جَنَّةٌ حَقّاً، وَأَنِّي بِالغَرَامِ شَهِيدُ

يَا مَنْ تَشَابَهَ مِنهُ فِي ضُعْفِ القُوَى خَصْرٌ، وَطَرفٌ سَاحِرٌ، وَعُهُودُ

جعل ابن الخطيب من جمال الحبيبة مذهباً، يقصده العاشق، حيث أقام الشاعر اللوحة الشعرية على دلالة اللون الأخضر الرمزية، ولكن بشكل متناقض، تداخلت الصورة بأبعادها المختلفة، ما بين جنّة الآخرةِ التي وَعَدَ اللّه بها عبادهُ، وبين جنّةِ وصال الحبيبة، والقرب منها في الدنيا، فالنص والسياق الشعري قاماً على صورة لجنّتين، يؤمل المرء بالفوز بهما. لذلك يمكن

(1) أُلاّفي: جمع آلِف. ألِفَهُ يألَفُهُ إِلْفاً: أَنِسَ به، وأحبّه. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج23/1).
(2) العِهْدُ: العِهادُ: مطرُ أوّلِ السّنةِ. أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط (ج 634/2).
(3) ابن الخطيب، الديوان، (ج358/1).
(4) ابن الخطيب، الديوان (ج288/1).

IUG Journal of Humanities Research (Islamic University of Gaza) / CC BY 4.0

قراء النص، من ناحية لونية من خلال التوظيف الدلالي لمفردة (جنة)، ممّا دفعَ بفكرِ الشاعرِ العميق أن يصورَ جنة الوصال، ويجعلها مذهباً يقتدى أثره، لما فيه من نعيم، وسعادة تستحق الشهادة من أجله.

الخاتمة:

الشاعر لسان الدين بن الخطيب أورد الألوان في نصه الشعري ومن جملتها اللون الأخضر، الذي تناوله البحث واستقصى مواطنه وتتبع دلالاته، توصلاً إلى نتيجة عامة، وهي أن لهذا اللون أثراً عميقاً في الحياة ... أنه الخضار والنضرة التي تكسو الوجود جمالاً وبهاءً وتفاؤلاً، فيعم السلام والطمأنينة بين أفراد المجتمع الذين ترهقهم ضغوطات الحياة وقسوتها. لقد مزج الشاعر بين جمال الطبيعة، وجمال الشخص المراد مدحه، وبيان صورته الجميلة، حتى جعله يكتسي جمال الطبيعة الواقع، وجمال الجنة المُتخيّلَ، فالروض، والزهر، والحدائق الغناء بما تحمله من صورة لونية خضراء تبث في النفس روح التفاؤل، وحب الأمل، والحياة، والوجود، وظّفها لخدمة صورة الممدوح، حتى غدا، وكأنه الطبيعة الخضراء الخصبة، فكل من حلّ ضيفاً على هذه البيئة الساحرة، نَعِمَ ونال السعادة. كأنما الشاعر بهذا التوظيف اللوني قد صوّر واقع عصره تصويراً بديعاً تستشف منه الأجيال اللاحقة مدى صحوة الشاعر في توظيف اللون الأخضر، وبالتالي فإن المجتمع سيتأثر إيجاباً بهذا التصوير البناء. ويوضح مدى تفاعل الشاعر والمتلقي بهذه الإيحاءات والرؤى الشعرية، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على صحوة لونية عامة ترى الوجود لوحة من الجمال ابدعه الخالق سبحانه.

المصادر والمراجع

1- أنيس، إبراهيم، وآخرون. (1980). المعجم الوسيط. (د. ط). جمهورية مصر. مجمَع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث. مطابع دار المعارف.

2- حمودة، يحيى. (1970). نظرية اللون. (د. ط). مصر. دار المعارف.

3- الحمودي، ياقوت، (د. ت). معجم البلدان. (د. ط). بيروت. دار صادر.

4- ابن الخطيب، محمد بن عبدالله التلمساني(ت: 776ه). (د. ت). الإحاطة في أخبار غرناطة. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية.

5- ابن الخطيب، محمد بن عبدالله التلمساني. (19890). الديوان. صنعه، وحقّقه، وقدّم له: محمد مفتاح. ط1. الدار البيضاء. دار الثقافة للنشر، والتوزيع.

6- ابن الخطيب، محمد بن عبدالله التلمساني.(د. ت). روضة التعريف بالحب الشريف. تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا. (د. ط). بيروت. دار الفكر العربي.

7- ابن الخطيب، محمد بن عبدالله التلمساني. (2002). معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار. تحقيق: كمال شبانة. ط2. القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية .

8- الرافعي، مصطفى صادق. (1974). تاريخ آداب العرب. ط2. بيروت. دار الكتاب العربي .

9- علي، إبراهيم. (2001). اللون في الشعر العربي قبل الإسلام ، قراءة ميثولوجية. ط1. طرابلس. جروس برس.

10- عنان، محمد عبدالله. (د. ت). دولة الإسلام في الأندلس. ط1. القاهرة. مكتبة الخانجي.

11- عيسى، فوزي سعد. (1979). الشعر الأندلسي في عصر الموحدين. ط1. الإسكندرية. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

12- الكندي، امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث.(2004). الديوان. تحقيق: عبدالرحمن المصطاوي. ط2. بيروت. دار المعرفة.

13- مختار، أحمد عمر. (1997). اللغة واللون. ط1. القاهرة. عالم الكتب.
14- المقري، أحمد بن محمد. (1968). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: إحسان عباس. ط1. بيروت. دار صادر.
15- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي(ت:711ه). (1994). لسان العرب. بيروت. دار صادر.
16- المنصوري، أحمد مقبل محمد. (2004). اللون في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف. (د.ط). صنعاء. وزارة الثقافة والسياحة.

البحوث :

1- عبدالجواد، فاتن (2007م). سيميائية اللون الأخضر القنوع والانفتاح جوهر العلاقة في شعر أمل دنقل. مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 14، (2)، 1-15.